

أمين الخولي المفسر الموضوعي

الباحثة/ رانيا محمد كمال العباسي^(*)

إشراف

أ.د. محمد عبد السلام كامل

بدأت بذور الاتجاه الأدبي في مدرسة المنار، فقد كشف الشيخ محمد عبده في مقدمة التفسير عن كثير من هذه البذور، مثل دعوته إلى درس علوم اللغة وفقهاها وعلوم الأساليب وفروعها، وإلى تتبع اللفظ في القرآن لكشف معناه الحقيقي، وإلى الاحتكام إلى قاعدة السياق^(١) التي تشكل أساساً رئيساً من أسس الاتجاه الأدبي والمنهج الموضوعي في تفسير القرآن الكريم.

ويصف الأستاذ الدكتور عفت الشرقاوي هذا الاتجاه فيقول:

"إنه أوسع أفقاً، وأعمق تأملاً، وأكثر صلةً بالفكر الحديث، وأغزر إضافة إلى التراث التفسيري، ذلك هو الاتجاه الأدبي في التفسير الحديث، وهو الاتجاه الذي يعني بقضية الإعجاز القرآني"^(٢). وكان إهتمام الشيخ محمد عبده بقضية الإعجاز وسائر بحوث البيان العربي ارتباطاً وثيقاً بمحور فكره

(*) طالبة دكتوراه بقسم اللغة العربية وآدابها (دراسات إسلامية) -

كلية البنات - جامعة عين شمس.

(١) انظر: مقدمة تفسير المنار، ج ١، ص ٢٤.

(٢) اتجاهات التفسير في مصر في العصر الحديث، ص ٢٦٩.

واتجاهه في تفسير القرآن، إذ كان يؤمن أن انتفاع الأمة بهداية القرآن يقتضي نهضة لغوية أدبية، تجعلها قادرة على تدبر معانيه وتذوق أساليبه والتأثر بحججه ومواعظه، فشرح نهج البلاغة ومقامات البديع الهمذاني، ونشر دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة للجرجاني، وهما من أعظم ما كشف عن كنوز القرآن الأدبية والبلاغية.^(١)

وقد فتحت هذه الجهود التي رادها الشيخ محمد عبده، بالإضافة إلى القواعد اللغوية والبيانبة التي وضعها في مقدمة تفسير المنار، وتبعه في تطبيقها إلى حد كبير الشيخ رشيد رضا، فتحت هذه الجهود وتلك القواعد باب التفسير الأدبي والبياني واسعاً، وهو ما ظهر في الدراسات المتخصصة للشيخ أمين الخولي وغيره من أصحاب الاتجاه الأدبي.

إذا كانت بذور الاتجاه الأدبي بدأت في مدرسة المنار، فإنها نمت وترعرعت واستوت على سوقها على يد الشيخ أمين الخولي الذي اتخذ من إشارة القدماء إلى عدم نضج علم التفسير أو احتراقه هادياً ومرشداً إلى تطويره من خلال منهج سجل أصوله فيما كتبه تعليقاً على مادة (تفسير) في دائرة المعارف الإسلامية، وراح ينشره ويعلمه لطلابه بكلية الآداب جامعة القاهرة منذ الثلاثينات حتى الستينات من القرن الماضي وأذاع بعض تطبيقاته في مجموعة أحاديث إذاعية سماها (من هدي القرآن) ثم سجله كاملاً مفصلاً في كتابه (مناهج تجديد)^(٢)، ولذا يعد الشيخ أمين الخولي هو رائد الدعوة إلى الاتجاه الأدبي في التفسير في مصر في العصر الحديث.

لقد كانت دراسة التفسير وفقاً على البيئات التي أخلصت نفسها للدراسة الدينية، أو التي منها بسبب كالأزهر ومدرسة القضاء الشرعي ودار

(١) اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر، ص ٢٧٠.
(٢) انظر: اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر، ص ٤٩٣.

العلوم، فلما أنشئت الجامعة المصرية اتجهت هي الأخرى إلى دراسة التفسير، وقد أحييت المنهج اللغوي والأدبي في فهم النص القرآني وتفسيره، غير أن دراسة التفسير في الجامعة لم تخرج عن الطريقة المألوفة من قراءة تفسير قديم ابتغاء وصول الطالب بترائه والإلمام به، ومعرفة وجوه نشاط أسلافه في التعامل مع النص القرآني، إلى أن تولي الشيخ أمين الخولي درس البلاغة العربية والتفسير بالجامعة وكان شديد الإعجاب بالشيخ محمد عبده، متأثراً به، وسلك سبيله في الدعوة إلى التجديد^(١) في تفسير القرآن.

لقد كان اشتغال الشيخ بالتفسيرات اشتغالاً منهجياً، كما كان مرتبطاً منهجياً باشتغاله بالبلاغة، والارتباط قديم يعرفه كل من له إلمام بتاريخ الثقافة العربية، فأهم كتب البلاغة العربية كانت مرتبطة ببيان إعجاز القرآن الكريم، ذلك أن البلاغة إذا كانت تتبعاً لخواص الأساليب الجديدة، أو كشفاً عن أصول الحكم بالجودة لكلام ما فلا مفر لها من أن تستقرئ أحكامها من الكتاب العربي المعجز، ولعل هذه الصلة الوثيقة هي التي هدت الشيخ إلى النظر في مناهج المفسرين، فرآها معظم الأمر انحرافاً عما ينبغي القصد إليه من إظهار بلاغة القرآن، ومن هنا أوجب العناية بـ (التفسير الأدبي) للقرآن على أنه المقصد الأساسي، ويتبعه ما شاء من مقاصد وأغراض.^(٢)

يقول الشيخ أمين الخولي: فجملة القول أن التفسير اليوم هو "الدراسة الأدبية الصحيحة المنهج، الكاملة المناحي، المتسقة التوزيع، والمقصد الأول للتفسير اليوم أدبي محض صرف، غير متأثر بأي اعتبار وراء ذلك، وعليه يتوقف تحقق كل غرض آخر يقصد إليه هذه هي نظرتنا إلى التفسير،

(١) انظر: دراسات في القرآن، د. السيد أحمد خليل، ص ١٤٨، ط. دار النهضة العربية.

(٢) مناهج تجديد للشيخ أمين الخولي، ص ١٠، من المقدمة للدكتور شكري عباد، ط. دار المعرفة بالقاهرة، ١٩٦١م.

وهذا غرضنا منه، وعلى هذا الأساس نقصد لبيان طريقة تناوله ومنهج دراسته".^(١)

ويسجل الشيخ أمين الخولي محاولته الانجديدية، فيكتب تحت عنوان "القرآن كتاب العربية الأكبر" فالمقصد الأسبق والغرض الأبعد للتفسير هو النظر في القرآن من حيث هو كتاب العربية الأكبر، وأثرها الأدبي الأعظم، فهو الكتاب الذي أخلد العربية، وحسب كيانها فصار فخرها وزينة تراشها، وتلك صفة القرآن يعرفها العربي مهما يختلف به الدين، ما دام شاعراً بعربيته، وسواء، أكان مسلماً أو غير ذلك، فإنه سيعرف بعرويته منزلة هذا الكتاب ومكانته في اللغة، قد صار ككتاب العربية الأعظم مكانته بين ما تعني به من دراسة أدبية، وتلك الدراسة الأدبية لأثر عظيم كهذا القرآن هي ما يجب أن يقوم به الدارسون أولاً، وفاء بحق هذا الكتاب، ولو لم يقصدوا الاهتداء به أو الانتفاع بما حوى وسجل، بل هي ما يجب أن يقوم به الدارسون ولو لم تتطو صدورهم على عقيدة ما فيه، أو انضوت على نقيض ما يردد المسلمون الذين يعدونه كتابهم المقدس، وهذا الدرس الأدبي للقرآن في ذلك المستوى الفني دون نظر إلى أي اعتبار ديني، هو ما نعتده وتعتده معنا الأمم العربية أصلاً والعربية اختلاطاً، مقصداً أول، وغرضاً أبعد، يجب أن يسبق كل غرض، ويتقدم كل مقصد، ثم لكل ذي غرض أو صاحب مقصد بعد الوفاء بهذا الدرس الأدبي أن يعتمد إلى ذلك الكتاب فيأخذ منه ما يشاء ويقتبس منه ما يريد وليس شيء من هذه الأغراض الثانية يتحقق على وجهه إلا حين يعتمد على تلك الدراسة الأدبية لكتاب العربية الأوحد دراسة

(٣) انظر: المرجع السابق، ص ٣٠٤.

صحيحة كاملة مفهومة له، وهذه الدراسة هي ما نسميه اليوم تفسيراً، لأنه لا يمكن بيان غرض القرآن ولا فهم معناه إلا بها.^(١)

وهكذا يحدد رائد الدعوة إلى الاتجاه الأدبي في التفسير مكانة الدراسة الأدبية للنص القرآني، وهو أمر طبيعي، لأن كل المقاصد الرفيعة التي يمكن استلهاها النص فيها إنما تكون بعد الفهم الواضح الصحيح، ولاشك أن الدراسة الأدبية للنص القرآني هي بداية الطريق إلى ذلك، كما يقول أستاذنا الدكتور كفت الشرقاوي.^(٢)

لكن الأستاذ أمين الخولي في دعوته السابقة يقتصر على العربي، ومن صلتهم بالعربية صلات وثيقة، وكأنهم وحدهم هم المخاطبون بهذه الرسالة، وفي هذا ينأى بمباحث الإعجاز القرآني عن تمثل أصيل لمعان سامية عامة، فقصر مباحث الإعجاز على هؤلاء لا يتفق وطبيعة تلك المعجزة الخالدة التي تسمو على المكان والزمان، ولقد كان من الخير في مجال الدعوة إلى الدراسة الأدبية لهذا النص المقدس أن يوجه الباحثون أيضاً إلى الكشف عن القيم الإنسانية العامة التي يتضمنها هذا الكتاب المبين، مما قد يستوي في فهمه العربي وغيره إذا أحسن إيضاحه.

وقد قام الدكتور شكري عياد — أحد الأمناء الذين حملوا لواء المنهج الأدبي — بضيف تعديلاً على نظرية المنهج الأدبي، تكفل له امتداد الأفق إلى أبعد من غرضه الأدبي في حدوده الضيقة التي تربطه بدراسة المفردات والمركبات، فرأى هذا الباحث أنه من الواجب أن يضاف إلى ملاحظات الشيخ عن دراسة المفردات والأساليب بحثاً آخر، لا يكون التفسير أدبياً إلا به، فليس البحث في المعاني التي يوحى بها القرآن مطلباً وراء التفسير

(١) مناهج تجديد للشيخ أمين الخولي، ص ٣٠٢، ٣٠٣.

(٢) انظر: اتجاهات التفسير في مصر في العصر الحديث، ص ٢٧٩.

الأدبي، كما يفهم من إشارته، بل هو من صميم التفسير الأدبي إذا أردنا أن ندرس القرآن درساً أدبياً، فليس يكفي الباحث حين يتصدى لدراسة كتاب من عيون الألب أن يبين معاني ألفاظه ووجوه البلاغة في تعبيره، إذا لم يفرغ جهده في بيان قيمته الإنسانية بإبراز ما يضيفه إلى النفس الإنسانية من وعي جديد بذاتها وإدراك دقيق لما حولها، وهذا يقتضي اعتبار القرآن الكريم كتاب الإنسانية الأكبر، لا كتاب العربية وحدها، وفي ضوء هذه الحقيقة يجب أن توجه المباحث الأدبية فيه.^(١)

وجملة القول أن بذور الاتجاه الأدبي في التفسير الحديث بدأت مبكرة في مدرسة المنار، ونمت على يد الشيخ أمين الخولي رائد الدعوة إلى هذا الاتجاه، وظلت تنمو ويغذوها النشاط الفكري والأدبي المتزايد في مصر، حتى ظهرت النماذج الأدبية الرفيعة في التفسير، وهي الدراسات التي كشفت عن آفاق جديدة في إعجاز القرآن، فإذا كان أصحاب الاتجاه الهدائي هم الذين جددوا في الناس الحس اللغوي والبياني بإبراز الإعجاز القرآني، وهو الحس الذي أعوز الناس بعد أن قاسوا فترة طويلة من الركود الأدبي الفكري.^(٢) وقد قدم الشيخ أمين الخولي شرحاً للمنهج الأدبي في تفسير القرآن الكريم في كتابيه (مناهج تجديد، والتفسير — معالم حياته منهجه اليوم) أكد فيهما أنه يجب أن يقوم على القواعد والأسس التالية:

١. التفسير الموضوعي:

حين ينظر الأستاذ أمين الخولي بين يدي خطته لتفسير القرآن الكريم في مسألة الترتيب القرآني، ليبني عليها الرأي في كيفية تناول التفسير،

(١) اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر، ص ٥١٥، نقلاً عن وصف القرآن ليوم الدين والحساب للدكتور شكري عياد، ص ٦.

(٢) انظر: اتجاهات التفسير في مصر في العصر الحديث، ص ٢٨٠، ٢٨١.

ويتساءل هل نتبع فيه الخطأ التي سادت حتى اليوم، فندرسته على ترتيب سورة وآياته، أو على غير هذا.

حين ينظر هكذا ويتساءل: إنما يكون قد خطا الخطوة الكبرى في البناء الفكري لدرسه القرآني، وانتقل من مرحلة الفكر والنظر الأدبي العام — كاتجاه مخالف غيره من اتجاهات — إلى مرحلة المنهجية والتطبيق التي أخذت حظاً موفوراً في الاتجاه الأدبي، حتى لقد أصبحت شارته التي يعرف بها مدلوله الذي ينصرف إليه ذهن حين تذكر (الأدبية) في مجال الدرس القرآني تتمثل في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم كما يذكر أستاذنا الدكتور محمد إبراهيم شريف.^(١)

ويؤصل الأستاذ أمين الخولي لهذه القاعدة بقوله:

"فالقرآن كما هو معروف لم يرتب على الموضوعات أو المسائل، فيفرد كل شيء منها بباب أو فصل، يجمع ما ورد فيه عن هذا الموضوع أو تلك المسألة، فليس على ترتيب كتب العقائد مع ما فيه من أصول العقيدة، وليس على ترتيب كتب التشريع مع ما فيه من أصول التشريع، ولا هو كذلك على نسق كتب الأخلاق أو التاريخ ولا القصص ولا غير ذلك، بل ليس على ترتيب بعض كتب الدين حين أفردت أحداث الحياة بأسفار عنونت كل سفر فيها بحادث، أو حين جرت على تسلسل حياة فرد خصت كل حين منها بقسم، كما لم يرتب على شيء من تاريخ ظهور آياته، وذلك لحكمة ومرامي نعرفها في الدراسات التي تتعرض لتاريخ القرآن وترتيباته، وإنما جرى القرآن على غير هذا كله، فعرض لكثير من الموضوعات، ولم يجمع فيها واحد بعينه فيلتقي أوله بآخره، ويعتريه مكان معين، وإنما نثر ذلك كله نثراً وفرقه

(٣) انظر: اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر، ص ٤٩٧، ٤٩٨.

تفريقاً، فالحكم التشريعي في أكثر من موضع، والأصل الاعتقادي قد عرض له غير مرة، والقصة قد وزعت مناظرها ومشاهدها في جملة أماكن، وهكذا نقرأ في السورة الواحدة فنوناً من الذول، وتمر بأغراض مختلفة تعرض له سورة أخرى، فيتكامل العرضان، وتتم الفكرة بتتبعها في مواطن متعددة.^(١)

ومن هنا فإن المفسر الأدبي في دعوته الجديدة الموضوعية يرى أن تفسير القرآن سوراً أو أجزاء لا يمكن من المفهم الدقيق والإدراك الصحيح لمعانيه وأغراضه، إلا أن يقف المفسر عند الموضوع يستكمل في القرآن ويستقصيه إحصاء، فيرد أوله إلى آخره، ويفهم لاحقه بسابقه.^(٢)

وعلى الرغم من أن المنهج الأدبي للتفسير يدعو إلى سلوك سبيل التفسير الموضوعي، فإنه لا يقدم خطة بعينها لتحديد الموضوعات التي يتناولها هذا التفسير، أو خطة لتصنيف القرآن تصنيفاً موضوعياً.

وإذا نظرنا إلى الدراسات التطبيقية لهذا المنهج وجدناها تنحى منحى أدبياً مثل قصص القرآن وتشبيهاته وأمثاله، وإما منحى نفسياً اجتماعياً مثل السلام والإسلام، القرآن والحياة، القادة الرسل، حكومة القرآن، الحكم بما أنزل الله، وغير ذلك من موضوعات ذات وحدة واتساق.

وهذا كله يبدو مقبولاً عندما يمارس المفسر عمله بصورة فردية وجزئية، فيكون له أن يختار من الموضوعات ما يناسب رغبته، ويوافق ميوله، أو ما يستجيب لموقف عام يشغل المجتمع في مرحلة ما ولكن كيف يكون الأمر مقبولاً حين يأخذ فرد — افتراضاً — على عاتقه، أو حين تضطلع هيئة خاصة بتفسير القرآن الكريم كله على أساس من الموضوع؟

(١) انظر: مناهج تجديد، ص ٣٠٥، وانظر: التفسير - معالم حياته، نهج اليوم، ص ٣٥، ٣٦.

(٢) انظر: مناهج تجديد، ص ٣٠٥.

إن الاختيار الشخصي سيتخلى ضرورة عن مكانه في هذا الأمر، مفسحاً المجال لخطة منظمة ومحدودة في تصنيف القرآن تصنيفاً موضوعياً، فكيف يتم هذا التصنيف أو كيف ترسم تلك الخطة؟ لا يشير المنهج الأدبي إلى شيء من ذلك.^(١)

وإذا كان دعاة التفسير الأدبي لم يقترحوا خطة بعينها لتصنيف القرآن موضوعياً، فإنهم أيضاً وقعوا فيما عابوه على الطريقة التقليدية في التفسير من أنها تعرض للموضوع الواحد حسب وروده في السور مفرقاً مما لا يمكن العثور على المفهوم الكلي القرآني لهذا الموضوع، ولم يستطع المفسر الموضوعي أن يتلافى بموضوعيته حقيقة هذا الذي عابه على الطريقة التقليدية، ففكرة الموضوعية لم تكد تتقدم بالرغم من بريقها وجاذبيتها — جديداً في التغلب على هذه المشكلة، واصطدمت بنفس الصخرة التي ظنت أنها قد لفتت من حولها بصنيعها الموضوعي، فمن الواضح أن تفسير القرآن موضوعات، لا يعني أن القرآن يتألف من موضوعات متداخلة، وأي كتاب — فضلاً عن القرآن — لابد أن تلتقي أهدافه وتترابط معانيه الكبرى، ومن هنا كان بحث موضوع واحد لابد أن يعبر في حد ذاته عدداً غير قليل من الموضوعات الأخرى.^(٢)

ويقول الدكتور مصطفى ناصف:

"إننا حين نطرق موضوعاً واحداً إنما نطرق الكتاب الكريم كله من زاوية ما، ولو لم ننتبه لهذه الناحية لما كان هناك أية مزية للتمسك بفكرة

(٣) انظر: اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر، ص ٥٠١، ٥٠٢.

(١) انظر: اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر، ص ٥١٧، ٥١٨.

الموضوعات، ذلك أننا إذا أهملنا العلاقة بين الموضوعات كنا قد وقعنا في الخطأ الذي عزوناه إلى طريقة تفسير القرآن سوراً^(١).

والذي يقرأ الدراسة الموضوعية التي قام بها الدكتور "محمد كامل حسين" حول الظلم في القرآن^(٢) يتبين له أن فكرة الظلم سواء للنفس أو للغير — لا تتفصل إطلاقاً عن الموضوع الأساسي 'لقرآن الكريم، وهو الإيمان، كما لا تتفصل عن معانٍ أخرى كعمل السوء والافتراء، وتعدي حدود الله والحيدة عن الطريق المستقيم، وغير ذلك كثير. وهكذا نجد موضوع الظلم ليس مغلقاً على نفسه، وإنما هو موضوع متصل مع غيره من الموضوعات، وإن كانت صيغته الخارجية ذات موضوع واحد.. وهذا مجرد مثال من أمثلة كثيرة ومتنوعة.

ويعلق أستاذي الدكتور محمد عبد السلام على صاحب المنهج الأدبي الموضوعي فيقول:

"ومن هنا يخطيء صاحب المنهج الأدبي الموضوعي إن اعتقد أنه بالدعوة إلى التفسير الموضوعي قد تحاشى ما عابه على الطريقة التقليدية في التفسير، لأنه وقع في الخطأ الذي عزاه إلى طريقة تفسير القرآن سوراً^(٣).

٢. الترتيب الزمني للآيات ذات الموضوع الواحد:

وهذه القاعدة ذات صلة قوية وعلاقة وثيقة بالقاعدة السابقة حتى لكانهما قاعدة واحدة، ويقصد بمراعاة الترتيب الزمني للآيات ذات الموضوع الواحد أن المفسر الموضوعي بعد أن يجمع آيات موضوع بعينه يجب أن يخطو الخطوة الثانية فيرتب هذه الآيات حسب تاريخ نزولها. ولا مفر من

(٢) نظر المعنى في النقد العربي: د. مصطفى ناصف، دار التعليم، القاهرة، ص ٢.

(٣) انظر: الذكر الحكيم: د. محمد كامل حسين، ص ١٤٦، ١٥٧، ط. دار النهضة المصرية.

(٤) موقف الدكتور بنت الشاطي من اتجاهات التجديد، ص ١٨١.

الاعتراف بأن هذا الترتيب التاريخي يشكل الصعوبة الحقيقية في المنهج الأدبي للتفسير، بل إن هذه الصعوبة تكاد ترتفع إلى حد التعذر والاستحالة.^(١)

والترتيب التاريخي يتوقف إلى حد كبير على معرفة حقيقية ودقيقة بترتيب نزول الآيات القرآنية سواء ما نزل منه ابتداءً، أو ما نزل منه إثر حادثة أو سؤال، وهذا جانب من الدرس القرآني نفتقده في المكتبة القرآنية قديمها وحديثها، فضلاً عن أننا لا نعرف يقيناً ترتيباً كاملاً للآي القرآني حسب نزوله، وأي محاولة للبحث في هذه النقطة هي محاولة عسيرة وشاقة، وترتفع إلى حد الاستحالة والتعذر فعلاً.

ولئن كان عدم تقديم المنهج الأدبي الموضوعي خطة بعينها لتصنيف القرآن موضوعياً، قد يلتمس له العذر بأن النص موجود، لكنه يحتاج إلى جهود وجهود، فإن الأمر في مسألة الترتيب الزمني للآيات ذات الموضوع الواحد يختلف تماماً، إذ أن الجهود في هذه المسألة مهما توافرت فإنها تفتقد الأسانيد والأدلة التي تصل بها إلى ترتيب تاريخي يقيني.^(٢)

٣. دراسة ما حول القرآن:

تعتبر دراسة ما حول القرآن عند رائد الاتجاه الألباني في التفسير دراسة تالية للمفسر الموضوعي بعد اختياره للموضوع القرآني المراد درسه، واستقصاء جميع آياته وترتيبها تاريخياً، كما تعتبر دراسة سابقة على مرحلة دراسة النص نفسه.^(٣)

(١) انظر: اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر، ص ٣١٩، ٥٠٣.

(٢) انظر: موقف الدكتورة بنت الشاطي من اتجاهات التجديد، ص ١٨٣.

(٣) مناهج تجديد، ص ٣٨، ٣٩. وانظر مقدمة الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، ج ١، ص ٧.

ويقصد الأستاذ أمين الخولي بدراسة ما حول القرآن أمرين:

دراسة خاصة: قريبة إلى القرآن مثل تاريخ القرآن ونزوله وجمعه وكتابته وقراءته وغير ذلك مما يعرف باسم علوم القرآن. ويرى الشيخ أمين الخولي أن هذه الدراسة مهمة جداً حتى إنه أشار إلى أنه لا ينبغي مطلقاً أن يتقدم لدرس القرآن وتفسيره عالم نيل حظه من هذه الدراسة.

ثانياً: دراسة عامة: مفهوماً يتصل بالبيئة المادية والمعنوية التي ظهر فيها القرآن، طبيعتها وأجواؤها، أرضها وسماؤها، ثم ماضي العرب وتاريخهم ونظمهم كل ذلك وسائل لفهم القرآن العربي المبين.^(١)

٤. دراسة القرآن نفسه:

وقد قسم الأستاذ أمين الخولي هذه الدراسة إلى قسمين:

دراسة المفردات، ودراسة في المركبات.

أولاً: دراسة المفردات:

وذلك من أجل المفسر الأدبي الموضوعي فيها، لتحديد معانيها، مراعيًا في الاعتبار أن تدرج المعاني اللغوية للمادة، ويتتبع هذه المعارف حتى ينتهي بترجيح معنى لغوي للكلمة، كان هو المعروف حين سمعتها العرب في أي الكتاب، في وقت الذي ظهرت فيه وتليت، أول ما تليت عليهم، فإذا ما فرغ من ذلك في معنى اللفظة اللغوي ودلائلها الأولى في عصر النزول، انتقل إلى معانيها الاستعمالية في القرآن مهتدياً بما انتهى إليه من معناها أو معانيها وقت النزول.^(٢) وقد أشار الشيخ أمين الخولي إلى خلو المكتبة العربية من معجم للترتيب الزمني لتداول الألفاظ العربية، وأكد أيضاً خلوها من معجم يعنى بمفردات القرآن، وتتبع الألفاظ فيه، إلا ما كان من

(٤) انظر: مناهج تجديد، ص ٣١٠، ٣١١، والتفسير معالم حياته، منهج اليوم، ص ٣٩، ٤١.

(١) انظر: مناهج تجديد، ص ٣١٢، ٣١٤، والتفسير معالم حياته، منهج اليوم، ص ٤١، ٤٤.

محاولة انراغب الأصفهاني. ويشير الدكتور محمد عبد السلام إلى أن مجمع اللغة العربية قد أسهم في تذليل هذه الصعوبة التي أشار إليها الأستاذ الخولي عندما أصدر سنة ١٩٥٣م "معجم ألفاظ القرآن الكريم"، وهو إن لم يقترب في كثير من مواده من فكرة المنهج الأدبي المبتغاة، فهو في قليل من مواده يقترب جداً من فكرة المنهج الأدبي، بل من فكرة المعجم التاريخي الاشتقاقي.^(١)

ثانياً: دراسة المركبات:

وقد وضع الأستاذ الخولي أصول هذه النظرة وما تحتاج إليه بقوله: "ثم بعد المفردات يكون نظر المفسر الأدبي في المركبات، وهو في ذلك — ولا مرية — مستعين بالعلوم الأدبية من نحو وبلاغة..... إلخ، ولكن الصنعة النحوية عمل مقصود لذاته، ولا لون يلون التفسير كما كان الحال قديماً، بل على أنها أداة من أدوات بيان المعنى وتحديده".^(٢)

ولا شك أن هذه الدراسة في المركبات إن كانت ممكنة، فإنها تحتاج إلى الكثير والكثير من الجهد والدراية وضرورة الإصلاح الأدبي والبلاغي والتجديد فيهما، وهو ما يعبر عنه بقوله:

"ولئن كان مثل هذا مما يطلب أو يوصف في قليل من الجمل والأسطر فإن تحقيقه ليس بالسهولة".^(٣)

التفسير النفسي:

ويختتم رائد الاتجاه الأدبي في التفسير منهجه بالإشارة إلى ما ينبغي مراعاته من التفسير النفسي، لأن ما استقر من تقدير صلة البلاغة بعلم النفس

(٢) انظر: اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر، ص ٥٠٦.

(٣) مناهج تجديد، ص ٣١، والتفسير معالم حياته، منهج اليوم، ص ٤٤.

(١) انظر: المرجع السابق، ص ٤٤.

قد مهد السبيل إلى القول بالإعجاز النفسي للقرآن. فالتفسير النفسي يقوم على أساس وطيد من صلة الفن القولي بالنفوس الإنسانية، واللمحة النفسية في المعنى القرآني ربما كانت أحسم لخلاف بعيد الغور كثير الشغب بين المفسرين، فالملاحظة النفسية حين تغل نسيج الآية وصياغتها، وتعرف بجو الآية وعالمها ترفع المعنى الذي يفهم فيها إلى أفق باهر السناء. وبدون هذه الملاحظة يرتد المعنى ضئيلاً ساذجاً، لا تكاد النفس تطمئن إليه، ولا هو خليق بأن يكون من مقاصد القرآن.^(١)

فهذه هي الأسس التي وضعها الشيخ أمين الخولي لتأصيل المنهج الأدبي في تفسير القرآن الكريم. ونلاحظ أنه بقدر ما يبهنا المنهج مما فيه من جديد في الفكر والنظر بقدر ما يثير من جدال ونقاش، وإنه بقدر ما قدم من مقدمات مثالية في المنهج بقدر ما أخفق في النتائج التطبيقية. ولذا لم تشهد هذه الدعوة تطبيقاً كاملاً في إحدى محاولات التفسير، فعلى حين يركز بعضها على الموضوع ويختار كثير من آياته، نجده يتعثر في المعجم والاستعمال، وتفتقر جهوده في هذه المجالات. وعلى حين تتجح بعض المحاولات في الدراسات المعجمية والاستعمال القرآني والسياق تتعثر في الموضوع فلا تلفت إليه، بل قد تستغي عنه أصلاً.^(٢) ويعلق الدكتور محمد عبد السلام على ذلك فيقول: "ولقد تأثر الأستاذ الخولي في تأصيله لهذا المنهج بروافد ومناهج أجنبية" ظهرت جلية وواضحة في تشكيل تفكيره وتأسيسه للمنهج الأدبي.^(٣)

(٢) مناهج تجديد، ص ٢١٣، ٣١٥، ٣٢٨، والتفسير معالم حياته، منهجه اليوم، ص ٤٥.

(٣) انظر: اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر، ص ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٩٧.

(٤) موقف الدكتورة بنت الشاطيء من اتجاهات التجديد، ص ١٩١.